جامعة سوهاج

كلية الآداب بسوهاج

قسم اللغة العربية

﴿المحاضرة الثالثة – قضايا البناء الفني﴾

في مقرر النقد العربي القديم

قسم اللغة العربية

إعداد

دكتورة/ هناء عابدين عبد اللّه

﴿قضايا البناء الفني﴾

نهج القصيدة

وهو عبارة عن الموضوعات التي كان يخوض فيها الشاعر القديم في كل قصيدة يكتب فيها أيا كان موضـــوعها، ويعد ابن قتيبة هو أول وأهم من شـــرح لنا نهج القصـــيدة العربية وأوقفنا على نظامها المحدد حيث يقول «سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكي وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن علي خلاف ما عليه نازلة المدر لانتقالهم من ماء إلي ماء، وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان.

ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد، وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق ليميل نحوه القلوب ويصـرف إليه الوجوه ويسـتدعي به إصـغاء الأسـماع إليه لأن النسـيب قريب من النفوس ملتصـق بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النســـاء فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقا به بسبب وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام

فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسري الليل وإمضاء الراحلة والبعير.

فإذا علم أنه قد أوجب على صـــاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة، وهزه للسماح وفضله على الأشباه.

فالشـاعر المجيد من سلك هذه الأسـاليب، وعدل بين هذه الأقسـام، فلم يجعل واحد منها أغلب على الشعر، ولم يطل فيمل السامعين».

وابن قتيبة في النص السابق لا يصف شكل المدحة الجاهلية ولا يبين أقسامها ولا يعلل لها فحسب، بل يطلب إلى الشعراء الالتزام بهذا الشكل الذي استخرجه من دراسته للنماذج القديمة.

أما أولئك الشـــعراء الذين أرادوا أن يجددوا فيخرجوا عن هذه الأقســـام التقليدية، فقد قوبلوا بمعارضـــة شـــديدة من جانب العلماء والرواة الذين لم يســـمحوا لهم حتى بإتباع هذه الأقســـام ولو في صورة حديثة يقتضيها التطور الحضاري "

فابن قتيبة يقول «وليس لمتأخر الشـــعراء أن على مذهب المتقدمين في هذه الأقســـام، فيقف علي منزل عامر أو يبكي عند مشـــيد البيان، لأن المتقدمين وقفوا علي المنزل الداثر والرســـم العافي، أو يرحل علي حمار أو بغل ويصفهما لأن المتقدمين رحلوا علي الناقة والبعير، أو يرد علي المياه العذاب الجواري لأن المتقدمين وردوا علي الأواجن الطوامي، أو يقطع إلي الممدوح منابت النرجس والآس والورد، لأن المتقدمين جروا علي قطع منابت الشيح والحنوة والعرارة».

وهكذا يكون نهج القصيدة بالإضافة إلى عمود الشعر «قيودا تمنع الشاعر من ممارسة فنه كما يشاء له خياله وتتسع له قدراته، وتغل إلهامه، فلا تسمح له بالتحليق إلا في دائرتها الضيقة، وإذا كان عمود الشعر يرسم للشاعر كيفية تأدية معانيه وألفاظه وصوره، ويكاد يدله على وزن وقافيه بعينهما فإن نهج القصيدة يحدد أفكار الشاعر وتسلسلها ونظام تأليفها وربطها».

أما بناء القصـيدة والتحام أجزائها كما جاء في عمود الشـعر التقليدي فهو يقوم على مبدأ تعدد فنون القصـيدة علي أن يحسـن الشـاعر ربط هذه الفنون ويحسـن الوصـل بين أقسـامها، وهو ما أطلق عليه المرزوقي «التحام أجزاء النظم والتئامها».

وعدة قاعدة من قواعد عمود الشعر، ويقصد به «ذلك الانتقال من كل جزء من أجزاء القصيدة التقليدية إلى الجزء الآخر علي نحو جيد، علي حسب ما جرت به تقاليد القصيدة العربية منذ الجاهلية، علي الرغم من أن هذه الأجزاء بما تشتمل عليه من وقوف علي الأطلال وذكر الديار والحبيب والرحلة إلي المحب ثم المدح – لا صلة في الواقع بينها، ولا يمكن أن تتكون منها وحدة عضوية – وإنما يريدون وصل هذه الأجزاء وكفي».

علي أن إجادة هذا الوصل وهو ما يسمونه: حسن التخلص من غرض إلي غرض في القصيدة هي مما عنا به المتأخرون، دون الجاهليين والمخضرمين، «إذ كانت العرب تقول عند فراغها من نعت الإبل وذكر القفار (دع ذا - أو عد عن ذا) ليأخذوا فيما يقصدون إليه من غرض القصيدة الأصلي ولهذا لم يؤثر حديث نقاد العرب عن التحام الأجزاء في بنية القصيدة، بل اتخذوا القصيدة الجاهلية نموذجا، علي ما بين أجزائها من تفاوت يتناقض مع ما نعرفه اليوم من معني الوحدة».

هذا هو نظام القصيدة في عمومه، ولكل جزء من أجزاء القصيدة نظام خاص وعرف متبع عند الشعراء وفيما يلي سنحاول الوقوف عند كل جزء منها لعلنا نري فيه رأيا.

أولا: المطلـــــع

عني نقاد العرب بمطلع القصيدة عناية فائقة، فطالبوا الشعراء بأن يبذلوا غاية الجهد في إجادته وإتقانه، علما منهم بقوة الأثر الأول في النفس، وأنه يدفع السامع إلى التنبه والإصغاء، إن كان جيدا آسرا، وإلى الفتور والانصراف إن كان ضعيفا فاترا.

فهذا ابن رشيق يتحدث كثيرا عن أهمية المطلع بقوله «الشعر قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل علي ما عنده من أول وهلة ».

فهو يري أن الابتداء في القصيدة يشبه القفل الذي يتحكم في مدخل المكان، إن فتح أمكن الدخول، وهذا تقابله جودة الابتداء، وإن لم يفتح لا يمكن الدخول، وهذا تقابله رداءة المطلع، ومعني هذا أن المطلع الرديء في رأيه يصرف السامع عن انفعاله بالقصيدة مهما كانت جودتها.

ولهذا أوجب كثير من النقاد علي الشاعر «أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير أو يستجفى من الكلام والمخاطبات كذكر البكاء ووصف إقفار الديار وتشتت الآلاف ونعي الشباب، وذم الزمان لاسيما في القصائد التي تتضمن المدائح أو التهاني».

ولذلك فقد حمد النقاد للشعراء مطالعهم الحسنة التي تكون واضحة سهلة المأخذ مع القوة والجزالة ، وقد ضربوا للمطالع الحسنة أمثلة كثيرة منها قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكري حبيب و منزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر، لأنه وقف واستوقف، وبكي واستبكي وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد .

<u>وقول النابغة:</u>

كِليني لِـهَمٍّ يـا أُمَيْمَـةُ نَاصـبٍ وليْل أقَاسيه بَطئ الكَواكِب

وقيل: إنه أحسن ابتداءات الجاهلية .

<u>ومن الابتداءات الحسنة التي نوهوا بها قول بشار بن برد:</u>

أبي طَلَل بالجزعِ أن يتكلّما وماذا عَلَيه لو أجاب مُيتما

فهو عندهم أفضل ابتداء صنعه محدث.

وقول أبي تمام:

السيف أصدقُ أَنباءً من الكُتُب في حَده الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ

فهو عند الآمدى من أحسن ابتداءاته.

وقول المتنبي:

أتراها لِكثرة العشاق تَحسب الدمع خلقة في المآقي

فإنه ابتداء ما سمع مثله ومعني وانفراد باختراعه.

وقد ذهب أبو الفرج الأصفهاني إلي أن «امرئ القيس أحسن الشعراء ابتداءً في الجاهلية حيث يقول:

ألا عِمْ صَبَاحاً أيّهَا الطّلَلُ البَالي وَهل يَعِمنْ مَن كان في الخالي

وحيث يقول:

قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ

ومن المحدثين بشار حيث يقول:

أبي طللٌ بالجزع أن يتكلما وماذا عليه لو أجاب متيما

وبالفرع آثار يقين وباللوى ملاعبٌ لا يُعْرَفْنَ إلا تَوهُّما

وجدير بالذكر في هذا المقام أن النقاد كانوا يستحسنون مطالع المحدثين إذا وافقت مطالع القدامى أو جاءت على شاكلها، فقد أورد الآمدى للبحتري قوله:

بين الشقيقة فاَللوى والأَجْرَع دِمَن حُبسنَ علي الرياح الأربَعِ

وقال: «وهذا من ابتداءاته العجيبة النادرة، وإحسانه فيه الإحسان المشهور، وقوله: بين الشقيقة فاللوى: كقول امرئ القيس: « بين الدخول فحومل ».

ومن مطالع بشار الحسنة التي توافق مطالع القدامى قوله:

سَلَّم علي الدِّار بذي تَنْصُب فشطَّ حَوْضَي فلوى قَعْنَب

واستوقف الركب علي رَسْمها بل حُلَّ بالرسم ولا تركَبِ

والمتأمل لمطالع بشار السابقة يجدها منسوجة علي منوال قصائد العرب، لأن الشعراء كانوا يتنافسون في محاكاة شعر العرب، لتظهر مقدرتهم البلاغية بالموازنة بين شعرهم وشعر فحول الشعراء في الجاهلية، ولهذا فقد جاءت مطالع بشار السابقة مشبهة لكلام الأوائل.

وبالإضافة إلي المطالع السابقة التي وافقت مطالع القدامى، فإننا وجدنا له العديد من المطالع الحسنة والتي تدل علي ذوق صاحبها وتتسم بالجزالة والفخامة، وبعدها عن التعقيد، وقد راعي فيها جودة اللفظ والمعني معا، ومن هذه الابتداءات الحسنة ما جاء نادرا انفرد بشار باختراعه، ونذكر فيما يلي عددا من هذه المطالع، ومنها قول بشار:

بكراً صاحبي قبل الهجير إن ذاك النَّجاح في التبكير

وقال بشار:

قَاسِ الْهُمومَ تَنَلْ بِهَا نُجُحَاً والليل إن وراءه صبحاً

ومن مطالع بشار الحسنة في الحكمة قوله:

إني وإن كان جمعُ المال يُعجِبُني ما يعدل المالُ عندي صِحَّة الجسد

ومن مطلع بشار النادرة التي انفرد باختراعها قوله:

تَجَالَلْتُ عَنْ فِهْرٍ وَعَنْ جَارَتَيْ فِهْر وودَّعْتُ نُعْمى بالسَّلَامِ وبالْهجرِ

حيث أنه افتتح القصيدة بقوله: " تجاللت " وهو افتتاح نادر غير مطروق في الشعر العربي، لأن أكثر افتتاحهم يكون بحرف التأكيد والاستفهام والتنبيه والنداء.

وكما أشار النقاد إلي بعض المطالع الحسنة نراهم أيضا «يشيرون إلي بعض المطالع القبيحة، تلك التي استرذلها الممدوحون أنفسهم، فمن ذلك ما يروي أن ذا الرمة مدح هشام بن عبد الملك بقصيدة البانية التي أولها:

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنَ كُلى ً مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ

وكانت عينه ريشة، وهي تدمع أبداً، فتوهم أنه خاطبه، أو عرض به. فقال له: وما سؤالك عن هذا يا جاهل؟ ومقته وأمر بإخراجه.

ومنه ما يروي من الفضل بن يحي البرمكي ابنتي قصرا استفرغ فيه مجهوده ثم أنتقل إليه، فصنع أبو نواس في ذلك الوقت أو قريبا منه قصيدة يمدحه بها مطلعها:

أرَبْعَ البلى! إنّ الخشوعَ لَبَاد عليكَ، وإنّي لم أخُنْكَ وِدَادي

فتطير منها البرمكي، واشمأز حتى كلح وظهرت الوجمة عليه، ثم قال: نعيت إلينا أنفسنا يا أبا نواس.

وأكثر هذه المآخذ نجده في قصيدة المدح التي اهتم بها النقاد كثيرا، لأن تجنب العيب فيها آت من «باب التأدب مع الملوك»، فيما يقول ابن رشيق، وراجع إلي «أدب النفس، لا إلي أدب الدرس» فيما يقول ابن الأثير.

علي أن المطالع لشعر بشار بن برد يجد أن أكثر هذه المآخذ متمثلة في قصائد الهجاء التي اشتهر بها بشار، والتي كانت له اليد الطولي فيها وخلت معظم قصائد المديح من هذه المطالع الرديئة.

ومن مطالع بشار الرديئة والتي كانت سبباً في مقتله، قوله في هجاء يعقوب بن داود:

بني أمية هُبّوا طال نومكُم إن الخليفة يعقوب بني داوودِ

ضاعت خلافاتكم يا قوم فالتمسوا خليفَة الله بين الزِّق والعود

وقد أرجع ابن رشيق هذه المطالع الرديئة إلى حالات ترجع إلي الشاعر نفسه، فهو يقول: «وإنما يؤتي الشاعر في هذه الأشياء، إما من غفلة في الطبع وغلط، أو من استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين يذهب. والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها، وينظر في أحوال المخاطبين، فيقصد محابهم، ويميل إلى شهواتهم، وإن خالفت شهوته، ويتفقد ما يكرهون سماعه، فيتجنب ذكره....».

ثانيا: مقدمة القصيدة

مقدمة القصيدة ظاهرة من الظواهر الفنية التي صاحبت القصيدة العربية علي اختلاف الإعصار التي مرت عليها، والأمصار التي انتقلت إليها وهي ظاهره لم تتخذ شكلا واحدا، بل تعدد أشكالها وتنوعت صورها، لا في العصور التي تلت العصر الجاهلي، بل في أول عهدها يوم أصل شعراء الطليعة المبدعة في الجاهلية لقصائدهم مجموعة من التقاليد الفنية التي كان من أشهرها حرصهم علي افتتاح مطولاتهم بألوان مختلفة من المقدمات، فقد كانوا يستهلون قصائدهم إما بالمقدمة الطللية، أو المقدمة الغزلية، أو مقدمة وصف الظعن، أو مقدمة الشباب والشيب، أو مقدمة وصف الطيف أو مقدمة الفروسية.

وحين تناول النقاد مقدمة القصيدة نظروا إليها من خلال القصيدة الجاهلية التي استمدوا منها قواعدهم وبنوا عليها أصولهم، ولم تخرج تفسيراتهم لها عن إطار القصيدة القديمة وحدودها .

وأصرح نص في هذا قول ابن قتيبة: «وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة إنما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار، فبكي وشكا وخاطب الربع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها... ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه". وهذا النص يكشف لنا عن سبب المقدمة وأهمية هذا السبب، فالأطلال لذكر أهلها الظاعنين، والغزل لاستمالة القلوب واستدعاء إصغاء الأسماع.

فالنقاد القدماء ذهبوا إلي أن الشعراء إنما تشبثوا بالمقدمات وحافظوا عليها لأنهم كانوا يبتغون بها تهيئة السامعين وجذب انتباههم لكي يصغوا إلي الموضوعات الأساسية لقصائدهم، يقول القاضي الجرجاني: «الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص، وبعدهما الخاتمة فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلي الإصغاء ».

أما أبو هلال العسكري فيرى أن «حق المطلع الحسن العزوبة لفظا والبراعة والجودة معني، لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن فإذا كان حاله على الضد مجه السمع وزجه القلب ونبت عنه النفس».

ومن خلال آراء النقاد السابقة يتضح لنا أنه لا خلاف بينهم في أن الشعراء إنما كانوا يمهدون بين أيدي قصائدهم بتلك المقدمات لكي يهيئوا السامعين ويجذبوا انتباههم حتى إذا ما أخذوا في الموضوعات الأساسية لقصائدهم، ضمنوا إصغائهم إليها، واستماعهم لها، وبهذا تكون المقدمة عند هؤلاء النقاد وسيلة إلي غاية أخري هي خدمة الموضوع الأساسي للقصيدة، وإعداد السامعين واستمالتهم لاستقباله والإصغاء إليه.

ثالثا: التخلص

والتخلص عند النقاد يدل علي حذق الشاعر، وقوة تصرفه، وطول باعة، وهذا ما سموه « حسن التخلص أو حسن الانتقال»، فالشاعر المجيد هو الذي يحسن الانتقال، فينتقل في سهولة ويسر من الموضوع الأول إلي الذي يليه دون خلل أو انقطاع، وتنساب معانيه بين موضوعات القصيدة انسيابا طبيعيا بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعني الأول إلا وقد وقع في الثاني، لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد.

علي أن هذا الانتقال الحسن إنما عرف به المتأخرون وتفننوا في ضروبه وأشكاله، علي حين لم يكن المتقدمون يعنون به كبير عناية ولا يحيطونه بفضل اهتمام، وكانت لهم عبارات محدده معروفة يستعملونها عندما ينتقلون من غرض إلي غرض.

فقد كانت العرب عند خروجهم إلي المدح يقولون عند فراعهم من نعت الإبل وذكر القفار وما هم بسبيله (دع ذا، وعد عن ذا) ويأخذون فيما يريدون أو يأتون بـ (أنّ) المشددة ابتداء للكلام الذي يقصدونه و لربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة (إلي فلان قصدت) و (حتى نزلت بفناء فلان وما شاكل ذلك.

ولهذا يكاد يتفق النقاد علي أن « الخروج المتصل بما قبله قليل عند الأوائل و أن المحدثين أحسن تخلصا من المتقدمين».

وقد امتاز بشار بن برد بحسن التخلص، ومن نماذج التخلص الجيد في شعره انتقاله من الغزل إلي المدح في قصيدته التالية والتي مدح بها ولي العهد موسى الهادي حيث بدأها متغزلا فقال:

فَتَاتَيْ نَدِيمِي غنيا بِحَيَاتِي وَلا تَقْطَعَا شَوْقِي وَلا طَرباتِي

فهو ينتهي من الغزل إلي قوله:

إذا شئت أبكاني الحمام بصوتِهِ وَهَاجَ عَلَيَّ الشَّوْق طُولَ سُبَاتِي

ثم ينتقل الشاعر انتقالاً موفقاً إلي المدح حين يقيم جسوراً تصل بين مقدمته الغزلية وبينه فيقول:

وَعِنْدَ وَلِيَّ الْعَهْدِ شَافٍ مِنَ الجوي فَرُوحَا عَلَيْهِ ذُكْرَةً بِشَكَاتِي

لَعَلَّ أمِينَ اللّه مُوسَى بْنَ أَحْمَدٍ يذوقُ لنا كأساً من السَّلَوات

هُوَ الْمَلِكُ الْمَأمُولُ وَالْقَائِمُ الذي يُؤَلِّفُ بَيْنَ الذِّنْبِ وَالنَّقَدَاتِ

ومن تلك النماذج الموفقة أيضا في شعر بشار هذه القصيدة التي يفردها الشاعر بعد المقدمة الغزلية إلي الحديث عن وصف البحر والسفينة ثم ينتهي منها إلي غرضه الرئيسي في مدح يزيد بن هبيرة فهو يقول في مطلع القصيدة متغزلا.

سَلِّمْ على الدَّارِ بِذِي تَنْضُبِ فشطِّ حَوضى فلوى قعنبِ

فهو ينتهي من الغزل إلي قوله:

عُيِّقتُ منها حُلُماً كاذباً يا ليتَ ذاكَ الحُلمَ لم يكذبِ

وينتقل انتقالاً محموداً إلي الوصف فيقول:

وملعبِ النُّونِ يُرى بطنــهُ من ظهرهِ أخضرَ مُسْتُصْعبِ

عَطْشَانَ إنْ تأَخُذْ عَلَيْهِ الصَّبَا يَفْحُشْ عَلَى الْبوصِيِّ أو يَصْخَبِ

ثم ينتقل من الوصف إلي الغرض الرئيسي من القصيدة فيقول في مدح ابن هبيرة:

إلى إمَـــام النَّاسِ وَجَّهْتُهَا تَجْرِي عَلَى غَارٍ مِنَ الطُّحْلُبِ

إلى فتًى تَسْقِي يَدَاهُ النَّدَى حيناً وأحيانـــــاً دمَ المذنبِ

والقارئ لهذه القصيدة لا يشعر بطفرة أو انقطاع في معطيات القصيدة بل تناسب أجزاؤها من غرض إلي غرض في سهولة ويسر.

الاقتضاب:

وإذا لم يكن خروج الشاعر إلي المدح متصلا بما قبله ولا منفصلا بقوله (دع ذا) و (عد عن ذا) ونحو ذلك سمي طفرا وانقطاعا.

ومن نماذج الاقتضاب في شعر بشار انقطاع مديحه عن غزله في قصيدته التي يقول في مطلعها مادحًا عقبة بن سلم:

يا دارُ بين الفرع والجنابِ عفا عليْها عُقَبُ الأَعْقاب

لأنه لما انتقل إلي المديح قال:

وانْبِضْ إذَا حَارَبْتَ غَيْرَ نَابِ يا عُقبَ يا ذا القحم الرِّعابِ

ومن تلك النماذج أيضاً قصيدته التالية والتي انتقل فيها انتقالاً مقتضباً من التشبيب بعبدة الهجاء، يقول في مطلعها:

أعَادَكَ طَيْفُهَا وبمَا يَعـُودُ وحُبُّ الْغَانِيَاتِ جَوًى يَؤودُ

ذَكَرْتُ القَاطِعَات على بلادٍ فَلِلْعَيْنَيْنِ مِنْ سَبـــَلٍ فَرِيدُ

ثم ينتهي من التشبيب وينتقل في اقتضاب إلي هجاء ابن قزعة المكني بأبي يحيي فيقول:

قَرِيبٌ ما مَلَكْتَ وإنْ تَرَاخَى وبيتُ الْجَارِ مَطْلَبُهُ بَعِيدُ
بجدك يا ابن قزعة نلت مالاً ألا إن اللئام لهم جُدودُ

والواقع أن المتأمل لشعر بشار يجد أن الغالب عليه هو التجويد في الخروج والوصل، فقد كانت له العديد من نماذج التخلص الحسنة والتي أبدع فيها، وإن كان هذا لا يمنع أنه وقع في مواضع قليلة في الظفر والانقطاع من مقدمة القصيدة إلي الغرض الأساسي منها.

رابعا: الخاتمة

وقد لاحظ النقاد أن لخاتمة القصيدة أثرا في النفس ووقعا مهما، لأنها آخر معني يبقي في الأذهان، ولهذا فقد أطلقوا عليها اصطلاح «المقطع» وأوجبوا علي الشاعر أن يراعي حسن المقطع، فإنه لا يقل أهمية عن المطلع، بل ربما فاقه، لأن به يكون الحكم علي القصيدة.

والخاتمة في عرف هؤلاء النقاد هي «قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقي منها في الأسماع، فسبيله أن يكون محكما، لا يمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه».

والنقاد يكرهون:

- ❖ أن يختم الشاعر قصيدته فيقطعها والنفس بها متعلقة وفيها راغبة مشتهية، ويبقي الكلام مبتورا كأنه لم يتعمد جعله خاتمه.
- ❖ كره الحذاق من الشعراء أن تختم القصيدة بالدعاء، لأنه من عمل أهل الضعف إلا للملوك، فإنهم يشتهون ذلك».

ويعجب النقاد بأن تختتم القصيدة بالمثل والحكمة والتشبيه الجديد، كقول امرئ القيس:

ألا إن بعد العُدم للمرء قنوة وَبعدَ الشباب طولَ عُمرٍ ومَلْبَسَا

هذا وقد عرف بشار بن برد بحسن المطالع والمقاطع، وقد ضربنا له بعض الأمثلة علي المطالع الحسنة، أما مقاطعه الجياد فنذكر له منها قوله في قصيدة مدح بها عقبه بني سلم حيث يقول:

إنَّمَا كُنَّا كَأَرْضٍ مَيْتَةٍ ليسَ للرائد فيها مُنْتَظَـر
فحيينا بك إذ وليتنـا وَكَذَاكَ الأَرْضُ تَحْيَا بالْمَطَرْ

وقوله أيضاً في مدح المهدي وفيها يحرضه على أن يأخذ العهد لموسى الهادي وهارون الرشيد فيقول:

إن اللَّيالي والأيامَ فاجعـةٌ وَالمَرْءُ يَفْنَى ولا يَبْقَى لهُ الأَبَدُ
هذا مقالي لكم والله يرشـدكُم ويعلم الله ربي الواحدُ الصَّمَـدُ
أن قد نصحتُ لكم بالجودِ من جِدَتي وهل تَجُود يدٌ إلا بما تَجِـدُ

وقول بشار في الحكمة:

وما خاب بين اللَّه والنَّاس عاملٌ له في التُّقى أو في المحامدُ سوقُ
ولا ضاقَ فَضْلُ اللَّهِ عن مُتَعَفِّفٍ وَلَكِنَّ أَخْـلاَقَ الرِّجـال تضيق

وهكذا نجد الصلة وثيقة بين موضوعات القصيدة الواحدة، فكل جزء فيها يذكر بجزء بعده ويستجيب لجزء قبله، فإذا المعاني موصولة يأخذ بعضها برقاب بعض، لأن الأفكار متداعية، هذا إذا أحسن الشاعر التخلص والربط بين الموضوعات ولائم بين الأجزاء، ولم يكن في القصيدة

قطع أو بتر أو خلل وإضــراب، فالشــاعر الجيد هو الذي يحســن وصــل فكرة بأخرى بحيث تبدو امتدادا لها، وهو بذلك يحقق ما يتطلبه عمود الشـــعر من ضـــرورة الالتحام والالتئام بين أجزاء النظم.